مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

لماذا تدعم إيران أرمينيا وليس أذربيجان؟

د. حسين فازلا

ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

ترجمة: يوسف علاء عباس

حقوق النشر محفوظة © 2023

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

لماذا تدعم إيران أرمينيا وليس أذربيجان؟

د. حسين فازلا*

أعلنت وزارة الدفاع الأذربيجانية أن المجموعات الأرمنية في كاراباخ قد ألقت أسلحتها. وقال المتحدث باسم الوزارة العقيد أنار إيفازوف: «مع استسلام القوات الأرمينية، توقفت عملية مكافحة الإرهاب في كاراباخ. وعلى الرغم من توقف الحرب إلا أن دعم إيران لأرمينيا مازال مستمراً كسياسة لم تتغير في السنوات الأخيرة».

من بدأ الحرب الأرمنية الأذربيجانية؟

في التسعينيات، ركزت أوروبا اهتمامها على الصراع في يوغوسلافيا. وقد أظهرت احداث سريبرينيتشا وغيرها من الأحداث بشكل مؤلم للبشرية جمعاء مدى فشل الاتحاد الأوروبي في التوصل إلى اتفاقيات. وبينما كان الجميع يركزون على يوغوسلافيا، استغلت أرمينيا الوضع وحصلت على دعم ضمني من روسيا لشن حرب على أذربيجان التي أصبحت أيضاً دولة مستقلة حديثاً.

بدأت هذه الحرب في حرب كاراباخ عام 1992، عندما أعلنت أرمينيا عن نيتها تحقيق الانفصال والحكم الذاتي داخل أذربيجان. في ذلك الوقت، استغلت أرمينيا عدم الاستقرار السياسي في أذربيجان لصالحها، وكان هذا في رأيهم التوقيت المناسب، واستخدموا بمهارة حماية ما يسمى بحقوق الأرمن الذين يعيشون في الأراضي الأذربيجانية «كسبب للحرب». واحتلت 20% من الأراضي الأذربيجانية في وقت قصير. وهذا يعني مكاسب إقليمية أكبر بكثير من حجم ما يسمى بجمهورية أرمينيا المتمتعة بالحكم الذاتي. وبحسب المراقبين لو أراد الأرمن في تلك السنوات لكان بإمكانهم السير إلى باكو. كان الأذربيجانيون في وضع ضعيف في الحرب ونتيجة لذلك، اضطرت اذربيجان إلى قبول الاحتلال الأرمني والجرائم التي ارتكبت خلال الاحتلال والانتظار بصبر لمدة تقرب من 30 عاماً حتى يأتي الوقت المناسب.

وفي واقع الأمر، فإن الحرب التي وقعت في عام 2020، والتي يمكن أن نطلق عليها حرب كاراباخ الثانية بدأتها أذربيجان لاستعادة بعض الأراضي التي فقدتها في عام 1992. وقد مكنت

* باحث.

هذه الحرب أذربيجان من استعادة غالبية الأراضي التي كانت من حقها، ولكن لأسباب مختلفة لم يكن من الممكن استعادة جميع الأراضي التي فقدتها في عام 1992 من أرمينيا. وهنا من منظور استراتيجي كان أكبر مكسب لأذربيجان هو استعادة الطريق التجاري الذي يربط البر الرئيسي الأذربيجاني بتركيا وناخچيوان.

كما عزز انتصار أذربيجان على أرمينيا في سبتمبر 2020 قيمة المركبات الجوية بدون طيار وأعطى تلميحات جديدة حول مستقبل الحرب الحديثة. حققت أذربيجان تقدماً جديداً في اكتشاف الأهداف وتحديدها في الوقت الفعلي من خلال تحليق طائرات بدون طيار صغيرة (طائرات صغيرة بدون طيار)، والتي تُستخدم أيضاً كطائرات قتالية فوق المناطق التي توجد بها الوحدات العسكرية الأرمينية والرادارات وأنظمة الدفاع والمدفعية. وهكذا، تم ضرب الأهداف التي تم تحديد موقعها بدقة كبيرة، بطائرات بدون طيار مسلحة أكبر وطائرات ومروحيات وحتى بطاريات مدفعية، مما ترك أرمينيا في وضع لا تستطيع فيه الدفاع عن نفسها بعد حرب قصيرة استمرت حوالي 40 يوماً. ومما لا شك فيه أن أذربيجان، التي انتصرت في الحرب، فشلت في فرض شروط السلام النهائية التي أرادتها في منطقة ناغورنو كاراباخ، نتيجة تدخل القوى التي تقف خلف أرمينيا. وفي ظل هذه الظروف ورغم وقف إطلاق النار بين أرمينيا وأذربيجان، لم يكن من الممكن رسم الحدود النهائية، ولوحظ أنه بالإضافة إلى المعابر المتبادلة في المنطقة كان الجانب الأرمني يحاول الوصول إلى الحدود الطبيعية في أراضيه لصالحهم خاصة من خلال إجراء تصحيحات حدودية فعلية. معلنة أنها لا تستطيع الصمت بشأن هذا الوضع، طلبت حكومة عليف(أذربيجان) من باشينيان(أرمينيا) التراجع لكن ذلك لم يكن ممكناً. ولهذا السبب كان هناك توقع بأن تشتعل الصراعات بين الطرفين على الخط الحدودي الغامض مرة أخرى ذات يوم. وفي واقع الأمر، حدث ما كان متوقعاً. وتستمر منذ أيام العملية العسكرية التي تشنها أذربيجان لتطهير «العصابات» الأرمنية في الأراضي التي تعتبرها تابعة لها، والتي تسميها «عملية مكافحة الإرهاب «.

وأعلنت وزارة الدفاع الأذربيجانية، حتى أمس، أن المجموعات الأرمنية في كاراباخ ألقت أسلحتها. وقال المتحدث باسم الوزارة العقيد أنار إيفازوف: «مع استسلام القوات الأرمينية، توقفت عملية مكافحة الإرهاب في كاراباخ.

وحتى لو توقفت الحرب بين أرمينيا وأذربيجان اليوم، فلا أحد يستطيع أن يضمن عدم إشعال

النار في المنطقة مرة أخرى في المستقبل القريب. هناك أسباب لا حصر لها للاعتقاد بذلك. ومن هذا المنظور فإن السياسات التي تتبعها الدول الأخرى ذات الاهتمام الكبير بالمنطقة، والتي تغذيها المشاكل التاريخية بين هذين البلدين والرغبة في تعظيم مصالحها الاستراتيجية من خلال الانحياز إلى أحد الجانبين لا تزال مهمة. وفي هذا الصدد من المهم تحديد ماهي الدولة التي تدعم الدولة الأخرى في الصراعات والتوترات بين أرمينيا وأذربيجان، وقد أصبح هذا المفتاح للتحديد المنظور الإقليمي للمستقبل.

من يدعم من في الصراع الأرمني الأذربيجاني؟

الدول التي تقف أقرب إلى أذربيجان

تركيا:

لقد كانت تركيا دائماً حليفاً لأذربيجان، إن وجود ناخجيوان يعود الفضل فيه إلى حد كبير إلى تركيا، وهي أرض أذربيجانية عالقة على الحدود التركية الأرمينية منذ ما يقرب من قرن من الزمان.

وزعمت تركيا أنها كانت الضامن لحماية ناخجيوان في حرب ناغورنو كاراباخ عام 1992 الحرب بين أرمينيا وأذربيجان، وأعلنت أنها لن تبقى صامتة في حالة وقوع هجوم على جمهورية ناخجيوان المتمتعة بالحكم الذاتي.

وكان الشعب التركي، الذي يعتبر الأذربيجانيين أخوة له، هو الضمانة لوجود علاقة شراكة استراتيجية بين تركيا وأذربيجان. وبالإضافة إلى ذلك، زادت العلاقات التجارية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية بين البلدين في العديد من المجالات خلال العقود القليلة الماضية، بما في ذلك نقل الغاز الطبيعي الأذربيجاني إلى الأسواق الغربية. ويستمر هذا التقارب في الزيادة.

وحتى لو لم يكن أي من ذلك هو الحال، فإن أرمينيا وهي المقربة جداً من الغرب والتي نجحت في 1915 على ترحيل الشتات الأرمني الى العالم أجمع في تسويق أنها إبادة جماعية. من المهم أن تنظر السياسة الخارجية التركية بعقلانية، فإن إقامة علاقات وثيقة مع دولة مثل أذربيجان وهي عدو أرمينيا لمواجهة ادعاءات أرمينيا غير الحقيقة.

إسرائيل:

وفي السنوات الأخيرة، لم تتردد إسرائيل في إظهار أنها حليف مخلص لأذربيجان، وفي بعض المجالات أقرب من الشراكة الاستراتيجية بين تركيا وأذربيجان. وعلى الرغم من أن إسرائيل أعلنت أنها كانت محايدة في حرب عام 1992، إلا أنها دعمت أذربيجان بشكل غير مباشر من خلال تزويد أذربيجان بالأسلحة. واليوم تعد إسرائيل أكبر مورد للأسلحة إلى أذربيجان، ولا ينكر أحد أن الأسلحة الإسرائيلية عالية الجودة وخاصة الطائرات بدون طيار المسلحة ذاتية القيادة، ساهمت في نجاح الجيش الأذربيجاني.

روسيا الاتحادية:

وعلى الرغم من أن روسيا لديها اتفاقيات دفاع مشترك مع أرمينيا وقواعد عسكرية في هذا البلد، إلا أن حكومة بوتين لا تخفي حقيقة أنها لا تتفق بشكل جيد مع القادة الأرمن الموالين للغرب، خاصة منذ الثورة المخملية. لذلك، أعتقد أنه في حين أن روسيا تقدم الأسلحة عملياً لكلا الجانبين، فإنها توضح أيضاً أنها تريد أن تعاني أرمينيا قليلاً من أجل تلقينها درساً. يعلم الجميع مدى نفوذ الكرملين في منطقة القوقاز. إن توقع عدم تدخل روسيا يعني الروس يريدون الابتعاد عن الواقع. ومن أجل فهم مصلحة روسيا في المنطقة وخطوطها الحمراء، من الضروري أن نرى كيف تدخلت في جورجيا منذ ليلة 7/8 أغسطس 2008 وكيف عزلت هذا البلد إلى حد كبير عن العالم الغربي، بما في ذلك حلف شمال الأطلسي والاتحاد الاوروبي. ورغم أن بوتين ربما يكون الشخص الوحيد في العالم الذي يستطيع بطريقة أو بأخرى إنهاء التوتر بين البلدين، إلا أن لدي شكوك قوية في أن السبب وراء الفشل في حل مشاكل الحدود بين البلدين بعد وقف إطلاق النار الذي تحقق بتدخل موسكو هو وأن بوتين لا يريد إنهاء هذا التوتر.

ويمكن القول إن روسيا أقامت تحالفاً ضمنياً مع أذربيجان ضد أرمينيا. وبالتالي، فإن العمل جنباً إلى جنب مع تركيا وأذربيجان ضد أجندة الغرب في جنوب القوقاز التي تركز على أرمينيا وجورجيا جزئياً، والاستفادة من إمكانات النفط والغاز في المنطقة، واستخدام المحور الأذربيجاني، الذي يقدم خطوطاً بديلة للتحايل على العقوبات، يُنظر إليه على أنه أمر متزايد لفرص موسكو.

ومن ناحية أخرى، وعلى الرغم من جنون العظمة السائد بين الأرمن، فمن المعروف أنه لا يوجد أي بلد يشكل تهديداً لوجود أرمينيا. وليس هناك ما يشير إلى أن أذربيجان وتركيا لديهما

مثل هذه الأجندة. وفي حال تغيرت الحدود الجغرافية في المنطقة بطريقة أو بأخرى بشكل من شأنه تدمير أرمينيا فإن أكبر حليف لأرمينيا سيكون الروس.

الدول التي تقف أقرب إلى أرمينيا

فرنسا:

ولا تتردد فرنسا في اتهام تركيا وأذربيجان علانياً في كل فرصة تتاح لها. تُظهر لنا لغة ماكرون أن فرنسا تقف إلى جانب أرمينيا. وقد يكون أحد أسباب ذلك هو وجود جالية أرمنية كبيرة في فرنسا. وهي أيضاً حاملة راية ما يسمى بخطاب الإبادة الجماعية الأرمنية، فرنسا دولة تستخدم دائماً لغة انتقادية ضد تركيا. ولا يمكن لأذربيجان، الدولة الشقيقة لتركيا، أن تتجنب أن تكون هدفاً لسهام الانتقادات هذه.

إيران:

إن الدولة الأكثر أهمية والتي لا يمكن فهمها إلى حد ما بالنسبة لتركيا وأذربيجان، هي إيران، وهي متعاطفة مع أرمينيا وحتى مؤيدة لها. نرى أن اللهجة القاسية والعدوانية تستخدم تجاه أذربيجان في الصحافة الإيرانية. بل إن بعض المراقبين الإيرانيين يؤكدون على أن إيران يجب أن تنتهج سياسة أكثر عدوانية ضد أذربيجان. ويشير هذا إلى المسار السلبي للعلاقات الإيرانية الأذربيجانية.

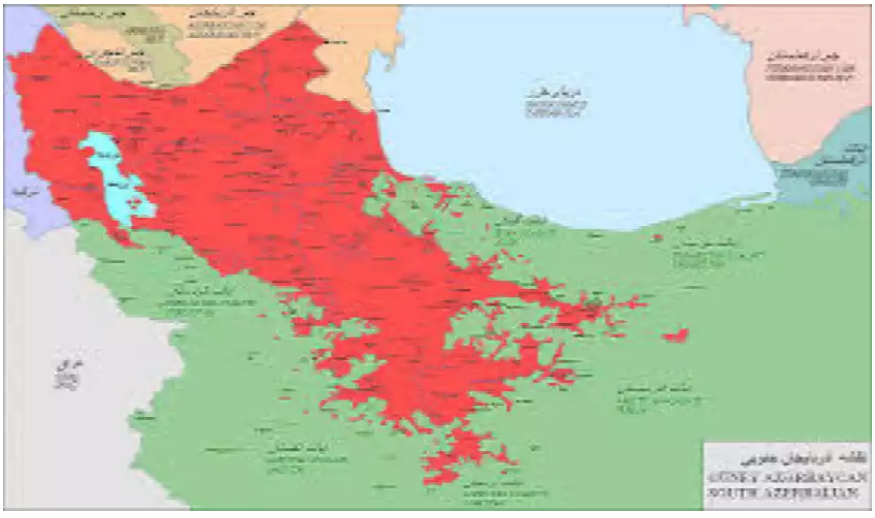

أولاً وقبل كل شيء، يمكننا القول إن إيران لا تريد أن يزداد نفوذ تركيا في القوقاز، لذا فهي تدعم أرمينيا لمنع ذلك. وإيران، التي تدعم دولة تنتمي إلى العالم المسيحي تتبع سياسة عدم التحالف مع أذربيجان على المستوى الدبلوماسي والدولي، رغم أنها تتمتع بأغلبية شيعية مثلها. قد يبدو هذا مفاجئاً، لكن إيران لا تخفي في نهاية المطاف أنها بنت عالماً وفقاً لمصالحها الاستراتيجية. إن دعم أرمينيا كدولة عازلة في سياق تركيا وأذربيجان كان دائماً خياراً أفضل.

ولهذا السبب دعمت إيران أرمينيا في الماضي. وهي اليوم دولة تتمتع بعلاقات أفضل مع أرمينيا من أذربيجان. ونظراً لوجود السكان الأذربيجانيين داخل حدودها، ترى إيران في كل خطوة نحو إنشاء أذربيجان الكبرى بمثابة تهديد لأراضيها وسلامتها الإقليمية، وهو ما ينبغي أن يُنظر إليه على أنه رد فعل طبيعي.

واختارت إيران أن تبتعد بشكل واضح عن أذربيجان بسبب السياسة التي اتبعتها في حرب كاراباخ الثانية عام 2020. لقد فقد هذا النزاع لصالح تركيا وأذربيجان. وفي هذه الحالة، أسست إيران صراعها على القيادة الإقليمية مع تركيا من خلال تحسين علاقاتها مع أرمينيا باعتبارها نقيضاً في سياق أذربيجان. وبشكل أساسي، إيران التي كانت تنتهج سياسة خارجية متوافقة مع التوقعات الإقليمية للأرمن منذ عام 1991، خسرت أذربيجان من أجل أرمينيا. بمعنى آخر، أصبح خطأ الاستراتيجية الأذربيجانية التي تتبناها إيران واضحاً هذه الأيام لدرجة أن النهج الذي تتبناه إيران في التعامل مع مشاكل المنطقة، والذي لم يطور استراتيجية ثنائية مرنة أشبه بالإستراتيجيات الثنائية المرنة التي أسستها روسيا مع دول جنوب القوقاز كان يُنظر إليه دائماً على أنه إشكالي (مثير للمشاكل). مرة أخرى الأحداث الأخيرة، اظهرت أن طهران متخلفة في قراءة التطورات في القوقاز. لا يتم انتقاد إيران فقط بسبب عواقب سياساتها تجاه أذربيجان. وفي الوقت نفسه، فإن ذلك لا يفيد روسيا وأرمينيا. على سبيل المثال، بعد حرب كاراباخ الثانية، لم يكن من الممكن لإيران أن تشارك في العملية التي أعقبت اتفاق وقف إطلاق النار الذي تم التوصل إليه بجهود نشطة لموسكو في 10 نوفمبر 2020. في ذلك الوقت، كان غياب كامل لإيران بينما كانت روسيا هناك كقوة حفظ سلام وتركيا هناك كمراقب، بمثابة تطور غير جيد لطهران. ولم تتمكن إيران من الحصول على حصة كبيرة من إعادة هيكلة كاراباخ بهدف الكشف لإمكاناتها الاقتصادية بعد عام 2020. وكان لإيران موقف سلبي في مناقشات ممر زانجيزور وتجاهل الحيوية التجارية التي ستجلبها إلى المنطقة. حتى

انها ابتعدت عن تطوير مبادرة تطبيع مع أذربيجان مثل محاولات ابتعاد التطبيع لتركيا مع أرمينيا.

في النهاية، تجدر الإشارة إلى أن إيران لديها نقطتان ضعيفتان في سياستها تجاه أذربيجان:

أولاً، يبلغ معدل سكان إيران حوالي 30-35% من أصل أذري يعيشون في إيران (مع الأخذ في الاعتبار أن عدد سكان إيران يبلغ 86 مليون نسمة، وهذا عدد كبير للغاية من السكان. وهو عدد سكان يتجاوز عدد سكان أذربيجان). وذكرت إيران أنه ترى في أذربيجان باعتباره تهديداً لسلامة اراضيها. على الرغم من أن بعض التقييمات التي تشير بأن لدى أذربيجان طموحات تاريخية تحريفية ووحدوية بشكل متزايد على الأراضي الإيرانية، لكن اعتقد أن أذربيجان الحديثة لا يمكن أن تمتلك مثل هذه الإمكانية ضد إيران حتى على المدى الطويل. لا أعتقد أن مثل هذه الادعاءات يجب أن تؤخذ على محمل الجد. ومن ناحية أخرى فمن الممكن أن يكون هناك شخص من أذربيجان يدعم محاولات التحريض وتأجيج النزعة الانفصالية ضد طهران بين المواطنين الأذربيجانيين في إيران. إذا كان هناك وضع كهذا فإن التعامل معه هو شأن إيراني داخلي مسألة أمن قومي. ومع ذلك أعتقد أن هذا الوضع لا يتطلب من إيران أن تنفصل عن أذربيجان بما يكفي لتصبح مؤيدة لأرمينيا. إن هذا الاستبعاد من السياسية الإيرانية، يجب على إدارة طهران أن تدرك أن هذه السياسة الإقصائية تضر بديناميكيات التجارة النامية في جميع أنحاء المنطقة.

وثانياً، هو برنامج الأسلحة النووية الإيراني والموقف السلبي للعالم الغربي وخاصة إسرائيل، تجاه ذلك منذ سنوات. وفي هذا الصدد، كان تعميق العلاقات الأذربيجانية الإسرائيلية كافياً لطهران لتهميش أذربيجان. ويجب أن يشعر خامنئي والحرس الثوري بالقلق من احتمال استخدام إسرائيل الأراضي الأذربيجانية كقاعدة انطلاق ضد إيران في حالة نشوب حرب محتملة. ومع ذلك، يجب على رئيس الجمهورية أن يعلم أن نفوذ إيران في القوقاز المنفصل عن السياق الأذربيجاني سوف يضعف بطرق عديدة وأنه لا يمكن منع التقارب الإسرائيلي الأذربيجاني.

خاتمة

إحدى الاستراتيجيات الأساسية للسياسة الخارجية لأذربيجان هي استراتيجية التوازن بين روسيا والغرب. وذلك لتجنب التحول إلى ساحة للتنافس الجيوسياسي بين تركيا وإيران. يتجلى هذا البحث عن التوازن عند فحص سياسة التوازن التي صاغها حيدر علييف. أذربيجان دولة تهدف إلى تقديم نفسها ليس كمنطقة منافسة بين إيران وتركيا، بل كمنطقة تعاون بين البلدين. لكن بحث أذربيجان عن التوازن بدأ يتغير لصالح تركيا بعد حرب كاراباخ الثانية. وبينما اكتسبت العلاقات الأذربيجانية التركية عمقاً في حرب كاراباخ الثانية، تضررت العلاقات الإيرانية الأذربيجانية بشكل خطير. وفي حين أدى هذا الوضع إلى تحول في العلاقات بين إيران وأذربيجان، بل زاد أيضاً من حاجة باكو لأنقرة للحد من تأثير إيران.

المصادر

1- Arif Keskin, Türkiye-İran İlişkileri Nereye? Fikir Turu, 19 Eylül 2022, https://fikirturu.com/jeo-strateji/iran-turkiye-iliskileri-nereye/

2 - Defensehere Haber, Azerbaycan: Karabağ'daki Ermeni gruplar silah bıraktı, antiterör operasyonu durduruldu, 20 Eylül 2023, https://www.defensehere.com/tr/azerbaycan-karabagdaki-ermeni-gruplar-silah-birakti-antiteror-operasyonu-durduruldu

المصدر

https://strasam.org/ua-iliskiler/uluslararasi-politika/iran-azerbaycani-degil-de-neden-ermenistani-destekliyor-2387